الدقة في اللغة العربية ألفاظا و معاني استنادا إلى ما ورد في القرآن الكريم

أ.د. علي محمد عوين

الملخص

في هذه الورقة القصيرة نورد عددا من الأمثلة ،على سبيل الذكر لا الحصر، من كتاب الله العزيز تدلل على الدقة المطلقة في كلام الله الذي جاء باللغة العربية و بالتالي فهي تعكس الدقة العالية للغة العربية و بلاغتها و منطقيتها و جمالها التعبيري.

نعطي في البداية أمثلة متنوعة تتناول جوانب إيمانية و في التوحيد و جوانب أخرى متعددة ، في الحديث عن المخلوقات و الكائنات و في التعامل و الأعمال الصالحات.ثم نختم بالحديث عن مدى أهمية كون القرآن منزلا من عند الله و ليس من عند بشر و الذي انعكس في رصانة اللغة و دقتها و منطقية الكلام و عدم وجود تناقض فيه.و انطلاقا من كوني أحد المتخصصين في الرياضيات و الفيزياء فلا بد من أن أشير إلى أن الجانب الذي تركزت فيه مناقشتي هو الجانب المنطقي و مدى توافق الكلام مع الواقع و الطبيعة أو الفطرة.

1- تقديم

لقد باشر الكفار و المنافقون تكذيب رسول الله صلى الله عليه و سلم منذ البداية و منذ أمره الله بنشر الرسالة الإيمانية .و كان مما استندوا إليه أن كلام الله(و هو القرآن) هو من عند محمد ((**و لقد نعلم أنهم يقولون إنما يعلمه بشر لسان الذي يلحدون إليه أعجمي و هذا لسان عربي مبين**)) (النحل 103)، ؛ أو أن أحدهم من البشر يملي عليه و يعلمه " **و كذلك نصرف الآيات و ليقولوا درست و لنبينه لقوم يعلمون** " (الأنعام 105) .

جاء القرآن بالعربية دون أي لغة أخرى،و لرب العالمين حكمة بالغة في ذلك قد يكون فيما تتمتع به العربية من بلاغة و دقة و جمالة.و لكنني و بشكل شخصي أعتقد أن السبب الأساسي في نزول القرآن باللغة العربية هو الدقة في ألفاظها و معانيها؛((**و كذلك أنزلناه حكما عربيا و لئن اتبعت أهوائهم بعد ما جاءك من العلم ما لك من الله من ولي و لا واق**)) (الرعد 37)
" **إنا جعلناه قرآنا عربيا لعلكم تعقلون** " (الزخرف 3) ؛ "
يقول عز من قائل أنه لو كان هذا القرآن من عند غير الله فإنه سوف يحمل في ثناياه تناقضا و اختلافا كبيرا.لكنه هو الحق من عند البارئ و لا يتواجد تناقض أبدا،و لن يكون أبدا من عند إنسان ما مهما تعلت مراتبه أو تميزت لغته و رقى منطقه و في دقة كلام الله خير دليل على ذلك.
في هذه الورقة المقتضبة نتعرض لنزر بسيط من فيض هائل من الآيات التي تدلل على دقة كلام الله و قوته و و مخاطبته للعقل السليم و المنطق الفطري بالتالي على رصانة اللغة العربية.و أنوه هنا بأن الإنسان هو الإنسان المجبول على الخطأ و النسيان،فلا يجوز لنا بأي حال من الأحوال أن نقارن ما وصلنا إليه من تقدم و رقي و تحضر بمنطق الإله الواحد الأحد؛و ما لدينا من علوم لا يساوي قطرة صغيرة في بحر علوم الله.

2- بعض الأمثلة

من أول الأمثلة ما جاء في القرآن بخصوص التوحيد "**قل هو الله أحد** " (الإخلاص 1)؛أي أن الله واحد أحد و لا مجال للتعددية هنا؛و للدقة يتم التأكيد في أماكن متفرقة و آيات عديدة من القرآن بأنه لا إله إلا الله ففي آية الكرسي نقرأ " **الله لا إله إلا هو الحي القيوم** ...." (البقرة 255).و تنفي هذه الآية نفيا قاطعا أن يكون إله لهذا الكون غير الله و لا مجال لمناقشة هذا الموضوع أبدا.في سورة النساء الآية 116 تؤكد على : " **إن الله لا يغفر أن يشرك به و يغفر ما دون ذلك لمن يشاء** " ،و هنا مرة أخرى نرى أن من أشرك بالله لن يغفر الله له.و الآية واضحة وضوح الشمس و لا يوجد أي فسحة للشك فيها، بينما بقية الآية تؤكد بأن الله يغفر ما دون ذلك لمن يشاء.فمن شاء الله أن يغفر له هو أمر من حقه و شأنه و لربما كان ذلك في توبة نصوح أو خاتمة طيبة و نحن عباد الله علينا أن نحسن الظن به فهو العادل في حكمه و الرؤوف بعباده و أنه لا يريد ظلما للعالمين. سبحانه ما أعظم شأنه

في المثال التالي نرى الجمال الذي تتسم به الدقة في كلام الله و بالتالي في لغتنا العربية،يقول تعالى **"كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالله و تنهون عن المنكر و تؤمنون بالله و لو آمن أهل الكتاب لكان خيرا لهم منهم المؤمنون و أكثرهم الفاسقون "** (آل عمران 110).في هذه الآية نرى أن خير الأمة اتصف بالأمر بالمعروف و النهي عن المنكر و الإيمان بالله و هو الأهم في الثلاثة،فلو أن هذه الفقرة (الإيمان بالله) لم تكن موجودة لحدث خلل كبير فكثير من أهل الكتاب اليوم (الغرب) يقومون بعمل المعروف و ينهون عن المنكر و لكنهم لا يؤمنون بالله الواحد الأحد و بذلك فأعمالهم غير ذات قيمة عند الله و تكملة الآية توضح ذلك.

و مثال آخر يتجلى في الآية 148 من سورة النساء و هي **" لا يحب الله الجهر بالسوء إلا من ظلم "** فالله يحب لعباده التحلي بالأخلاق الكريمة و قول الحسن من الكلام،و لكن إذا ظلم أحدنا فقد يتحمل حتى نقطة معينة يصبح بعدها غير قادر على الصبر فيخرج عن طوره و يتفوه بكلمات سوء و هو أمر فطري،و هكذا جاءت كلمات ربي دقيقة و واضحة مضفية دقة و جمالا في اللغة.

في سورة هود يقول الله عز و جل في الآية 88 **"قال يا قوم أرأيتم .....إن أريد إلا الإصلاح ما استطعت و ما توفيقي إلا بالله عليه توكلت و إليه أنيب "** و منها نرى الدقة في ما جاء على لسان رسول الله هود حيث يخاطب قومه بأنه يريد الإصلاح ما استطاع و هو اعتراف صريح بمدى محدودية النفس البشرية فهو سوف يحاول الإصلاح قدر استطاعته فلا يكلف الله نفسا إلا وسعها كما يكمل بأن التوفيق هو من عند الله و ليس من عنده.و في نفس السورة تذكر الآية **" و ما كان ربك ليهلك القرى بظلم و أهلها مصلحون "**و منها نرى ؛غير الدقة في اللغة،عظمة الله في أن العقاب لن يكون إلا لمن كان فاسدا غير مصلح كما تعكس الآية عدل الخالق في أنه لن يظلم عباده أبدا..

يقول جل من قائل **" و من أراد الآخرة و سعى لها سعيها و هو مؤمن فأولئك كان سعيهم مشكورا "** هنا تتجلى مرة أخرى الدقة في استعمال الكلمات أو في كلام الله فإن أراد أحد الآخرة أي لقاء ربه فلا بد من عمل الأعمال الصالحة فلا وجود لإرادة بدون عمل صالح و المؤمن العامل للأعمال الصالحة ينال ثواب الدنيا و الآخرة.

و تظهر الدقة المتناهية في كلامه عند ذكر مخلوقاته و الآيات التي ساقها للدليل على قدرته،في سورة يونس بالآية 5 يقول جل و علا **" هو الذي جعل الشمس ضياء و القمر نورا "**.في هذه الآية نرى عظمة الله في علمه و دقته في الكلام فالشمس نجم مشتعل يضيء و القمر كوكب ينعكس عليه ضوء الشمس كالمرآة فيأتينا نورا و هكذا وصف.أتوجد دقة أكثر من هذه؟

في سورة الأعراف الآية 12 يقول سبحانه و تعالى **" قال ما منعك أن ألا تسجد إذا أمرتك،قال أنا خير منه خلقتني من نار و خلقته من طين "** ، و هذه الآية مرة أخرى تعكس عظمة الخالق و الدقة في وصفه و هي دقة تحلت بها اللغة العربية التي اختارها الله لنزول القرآن على نبيه الكريم.و كون الشيطان من النار فإن ذلك يعني إنه من موجات كهرومغناطيسية و حسب التردد يكون الطيف فمنها ما هو مرئي و منها ما هو غير مرئي و بذلك تكون الملائكة من النور و الجن من النار.و حسب التردد يمكن أن نرى الملائكة و الجن أو ربما لا نستطيع رؤيتهم.و لا ننسى أن العلم الحديث أثبت أن المادة و الإشعاع كلاهما صورتان من صور الطاقة.فسبحان الله على عظمة خلقه و دقة وصفه للمخلوقات و الكائنات.

و لو نظرنا إلى الآيات 97-98 من سورة الأعراف و هما **" أفأمن أهل القرى أن يأتيهم بأسنا بياتا و هم نائمون* أو أمن أهل القرى أن يأتيهم بأسنا ضحى و هم يلعبون "** و منهما نرى الحرف **"أو"** التي نسميها في الرياضيات بأو الشاملة،فهي تعني حصول الحدث الأول أو الثاني أو الاثنين معا.و هو أمر بديهي و مؤكد من كون الأرض كروية و كذا الفرق في الزمن من قرية إلى أخرى.

3- أمثلة إضافية

في الإيمان بالله يقول العزيز الجبار "**إن الذين آمنوا و الذين هادوا و الصابئون و النصارى من آمن بالله و اليوم الآخر و عمل صالحا فلا خوف عليهم و لا هم يحزنون** " (المائدة 69).و في هذه الآية نرى الدقة غير المتناهية في كلام الله و المنطق الذي تحلت به الكلمات؛هذا بالطبع ينطبق على الذين لم يلحقوا أو يعلموا بالدين الإسلامي.و المهم هو الإيمان بالله و اليوم الآخر و العمل الصالح.ثلاثة أمور مهمة،لو قصر أحدنا في واحد منهم فلا تحصل النتيجة المرجوة و هي عدم الخوف والحزن و الفوز بجنات النعيم.و هذا ما تؤكد عليه الآية 60 من سورة مريم بشكل آخر " .....**إلا من تاب و آمن و عمل صالحا فأولئك يدخلون الجنة و لا يظلمون شيئا** " هذه الآية التي تحمل دقة كاملة في كلام الله جاءت تتمة للآية " **فخلف من بعدهم خلف أضاعوا الصلاة و اتبعوا الشهوات فسوف يلقون غيا** "

و في سورة الشعراء تصف الآيات 224-227 الشعراء يتبعهم الغاوون و لكن يأتي الاستدراك في خاتمتها يستثني فيه رب العالمين أولئك الذين أمنوا و عملوا الصالحات و ذكروا الله كثيرا.فيا لها من دقة عالية في المخاطبة و الحديث.

و في سورة النساء تقول الآية 92 " **و ما كان لمؤمن أن يقتل مؤمنا إلا خطأ ...**."، و لو لم ترد عبارة " **إلا خطأ** " لكانت مشكلة فالقتل الخطأ يحصل دائما كأن يصدم أحد شخصا بسيارته دون قصد فيقتله خطأ أو أن تقتل امرأة ابنها الرضيع و هي نائمة دون شعور.و في نفس السورة نجد الآية 95 تقرأ " **لا يستوي القاعدون من المؤمنين غير أولي الضرر ...**" و استثناء أولي الضرر هو أيضا من محكم كلام الله و دقته فلا حرج على أولي الضرر و لا لوم عليهم.

و من الأمور التي يختلف فيها كثير من فقهاء الدين و اللغة و حتى العامة من المسلمين ما اختص الله نفسه به من علم أو معلومات و لم يطلع عليها بني البشر و قد يصل الأمر فيها حد التعصب من البعض حتى و إن كشف العلم النقاب عن أشياء لم يحجبها الله عن خلقه.لنأخذ على سبيل المثال ما جاء بالآية 34 من سورة لقمان " **إن الله عنده علم الساعة و ينزل الغيث و يعلم ما في الأرحام و ما تدري نفس ماذا تكسب غدا و ما تدري نفس بأي أرض تموت إن الله عليم خبير**".في هذه الآية دقة ما بعدها دقة؛فعلم الساعة ذكر في عدة آيات أخر من القرآن و نصت هذه الآيات صراحة على أن علمها عند ربي فقط و هو يجليها لوقتها و تأتي بغتة.إنما نزول الغيث و العلم بما في الأرحام فقد يتقدم العلم بإذن الله و فضله(بل و قد تقدم) ليعلم العلماء كيفية إنزال الغيث مثل استحلاب السحب و الأسرار الكثيرة لما في الأرحام من حيث الصحة العامة للجنين و دقات قلبه و كونه ذكرا أو أنثى.أما ما سيحدث للمرء غدا أو ماذا سيكسب مستقبلا فذلك أمر لا يعلمه إلا الله و كذلك الأمر لموعد و مكان موت الواحد منا.و جاء النفي نفيا قاطعا لا مجال للشك فيه.

و بهذه المناسبة و لإزالة اللبس في هذا الموضوع دعنا نسوق المثال التالي:-

((أتحدث فأقول أنا أعرف ماذا أخبئ في جيبي و لنقل أنه ربع دينار،لقد قلت ذلك و ربما علم أحد من أفراد عائلتي ما بجيبي فالمعرفة هنا ليست مقصورة علي وحدي.و لكن إذا قلت لا يعرف أحدكم(و أنا أخاطب مجموعة من الناس) ما خبأت بجيبي، فإن المعرفة عندئذ اقتصرت علي أنا وحدي "و هكذا فإن الأمر يتعلق بالدقة في الكلام.

مما تقدم من أمثلة – و التي جاءت على سبيل الذكر لا الحصر- نرى دقة لا متناهية في كلام الله عز و جل و في محكم آياته التي استخدم فيها اللغة العربية و هذا بالطبع يثبت أن ما جاء بالقرآن هو من عند الله و ليس بقول بشر مهما تعلت مراتبه و مهما كان له من تحصيل علمي أو لغوي. **إنها الصياغة اللغوية الأفضل على وجه الأرض**.

4- خاتمة

لا بأس هنا أن نسوق أدلة أخرى،لا تتعلق بدقة اللغة و الكلام، و لكنها أدلة دامغة على أن القرآن من عند الله و ليس بقول بشر.نذكر من هذه الأدلة ما يلي:-

أولا- لقد نزلت سورة المسد في أبي لهب و زوجته و توعدهما الله بنار جهنم و مات أبو لهب على عناده و كفره و تلك معجزة كبيرة في حد ذاتها.فلو أن أبا لهب أسلم لأصبح الإسلام مسخرة بين الكثير من الكفار و المنافقين و لكن الله هو منزل القرآن و العالم بكل شيء.

ثانيا- لقد وصف القرآن اليهود و المشركين بأنهم أشد الناس عداوة للذين آمنوا " **لتجدن أشد الناس عداوة للذين آمنوا اليهود و الذين أشركوا....**"(المائدة 84)، و ها هو الزمن يمضي و على مر العصور و حتى يومنا هذا لا يزال اليهود على بغضهم و حقدهم و كراهيتهم و عداوتهم للمؤمنين.و إنني هنا لأتحدى اليهود أن يقوموا بغير ذلك.

ثالثا- جاء في عدد من الآيات لوم من الله سبحانه و تعالى للرسول (صلى الله عليه و سلم) ينبهه إلى أخطاء وقع فيها و هي أخطاء يمكن أن يقع فيها جميع البشر.و من هذه الآيات "**عبس و تولى أن جاءه الأعمى**"(عبس 1) و " **استغفر لهم أو لا تستغفر لهم إن تستغفر لهم سبعين مرة فلن يغفر الله لهم..** " (التوبة 80) و " **و لا تمدن عينيك إلى ما متعنا به أزواجا منهم زهرة الحياة الدنيا** "(طه 129) و " **و أن كادوا ليفتنوك عن الذي أوحينا إليك لتفتري علينا غيره و إذا لأتخذوك خليلا*و لولا أن ثبتناك لقد كدت تركن إليهم شيئا قليلا** " (73-74).و لو أن القرآن من عند محمد ما وردت هذه الآيات فقد يظن أي واحد أنها منقصة أو قصور في شخصه و لكن هو الإسلام الدين العظيم الذي يخلد الحق و الحق فقط و هو بذلك أحق أن يتبع.

رابعا- لو أن القرآن من عند محمد لخلد ذكرى عائلته فسمى إحدى السور باسمهم و لكن و كما ذكر أحد المستشرقين الذين آمنوا حديثا بالإسلام " لقد سميت سورة باسم مريم و لم تسمى باسم خديجة أو فاطمة".

خامسا- على نفس المنوال لو كان هذا الدين من تأليف محمد لجعل الخلافة وراثية من بعده و لكنه تركها شورى للمسلمين و أهل الرأي بل تعدى الأمر ذلك فأمر أبا بكر أن يأخذ مكانه في إمامة الصلاة عندما اشتد به المرض.و هذا ما حدث فلقد تولى الخلافة أبو بكر ثم عمر ثم عثمان فعلي.و نحمد الله أن انتهج ذلك النهج فلو كانت الخلافة وراثية لأصبحنا اليوم نؤله آل البيت بدل الواحد القهار.

ختاما ،نستطيع أن نستمر في سرد الأمثلة الحقيقية التي لا تنتهي و التي توضح بأن القرآن و الإسلام هما من عند الله و لكن المجال لا يتسع لذلك هنا و نكتفي بالقدر المذكور شاكرين الله أن خلقنا و جعلنا مؤمنين.

5- المراجع

- القرآن الكريم.